الأبنيةُ الصَّرفيَّةُ للصِّفاتِ الإلهيَّةِ في آيةِ الكُرسِي

الباحث الأول
م. د عبدالرزاق خلف محمود الحيالي
جامعة الموصل / كلية التربية/ للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الباحث الثاني
أ. د. معن يحيى محمد العبادي
جامعة الموصل / كلية التربية/ للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية /

البريد الإلكتروني Email : Abdulrazzag .kh@uomosul.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الصفة، البناء، الصرف، الثبات، التجدد.

كيفية اقتباس البحث
الحيالي، عبدالرزاق خلف محمود ، معن يحيى محمد العبادي، الأبنيةُ الصَّرفيَّةُ للصِّفاتِ الإلهيَّةِ في آيةِ الكُرسِي، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٧ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

albinyat al'asasiat lilsifat al'iilahiat fi ayat alkursii

Abdul-Razzaq Khalaf Mahmoud Al-Haya li
University of Mosul
College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Ma'an Yahya Muhammad Al-Abadi
University of Mosul
College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language

Keywords : alsifati, albanaa'i, alsarifa, althabati, altajadudi.

How To Cite This Article
Al-Hayali, Abdul-Razzaq Khalaf Mahmoud , Ma'an Yahya Muhammad Al-Abadi,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2026,Volume:16,Issue 7.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

lmma kanat ayat alkursii 'aezam ayat fi kitab allah bishahadat alrasuli- slla allah ealayh wasalama- fiha min altaasis waltaqdis lilmalik alquduwsi, wa'iielan alwahdaniat lah- taealaa- fakulu jumlat min jamalaha aleashrat khayr min aldunya wama fiha, mshtmltan ealaa dhikrihi- taealaa- wasifatuhu, bi'alfaz wajizatin, wasiaghat faridatin, fdlaan ean kawniha mashhunat aldilalat min 'awaliha 'iilaa akhiriha, wffart llmfssiryn walmushtaghilin bi(eilm alearabiati) fda'an waseaan fi (altafsir waltahlili) ma 'amkanahum, wahin basarat hadha eamadat 'iilaa aikhtiariha bdrast srfy memmaqtin, litakuna(al'abniat alsarfiat lilsifat al'iilahiati), waqad qffayt fih kll lafzat mutadaminat ealaa sifat lilhi- wamin shan eilm alsarf bahathaha- bidirasat sarfiat tahliliatin, eudat fiha 'iilaa kutub allughat altafsira, liltaasil allughawii walqurani, wa'iilaa kutub alqira'at alquraniat liltathabut waltawjih allaazimi, haythuma daeat alhajatu, wasayajid alqari annana earadna lidirasat alsifat al'iilahiat

lilkashf ean binyatiha alsarfiat wabayan 'athariha fi tawjih aldilalati, qwtan wthbwtaan, kama 'aradna dhalik fi eunwan aldirasati, wahu fi aleadat la yakun klamaan fi eilm aleaqidati, almaeruf eind eulama' almuslimina, bibab (al'asma' walsafati), wama yatadamanuh min al'iithbati, 'aw altaawil litilk alsafati, walaw jaraa alkalam ealayha eqdyaan lakan khrwjaan ean maqsidina aladhi 'aradnah fi hadhih aldirasati, falazim altanbihu, wafi alnihayati: hadha ma 'ahtasib 'ajrah ealaa allah wahdahu, walhamd lilah min qabl wamin baedu.

Since the Verse of the Throne (Ayat al-Kursi) contains mention of God Almighty and His attributes in concise words and a unique style, in addition to being rich in meaning from beginning to end, it provided commentators and those engaged in Arabic studies with ample scope for interpretation and analysis to the best of their ability. I saw this and deliberately chose it with an in-depth morphological study, to be (The Morphological Structures of Divine Attributes), and in it I traced every word that includes an attribute of God - and it is the nature of morphology to study it - with an analytical morphological study, in which I returned to the books of language and interpretation, for linguistic and Qur'anic origination, and to the books of Qur'anic readings for verification and necessary guidance.

الملخَّصُ

لمَّا كانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله بشهادة الرسول– صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم– فيها من التأسيس والتقديس للملك القدوس، وإعلان الوحدانية له– تعالى– فكل جملة من جملها العشرة خير من الدنيا وما فيها، مشتملةً على ذكره– تعالى– وصفاته، بألفاظ وجيزة، وصياغة فريدة، فضلاً عن كونها مشحونة الدلالات من أولها إلى آخرها، وفَّرت للمفسِّرين والمشتغلين بـ(علم العربية) فضاءً واسعاً في (التفسير والتحليل) ما أمكنهم، وحين بصرت هذا عمدت إلى اختيارها بدراسةٍ صرفيّةٍ معمَّقةٍ، لتكون(الأبنية الصرفية للصفات الإلهية)، وقد قفَّيت فيه كلَّ لفظة متضمنة على صفة لله– ومن شأن علم الصرف بحثها– بدراسة صرفية تحليلية، عدت فيها إلى كتب اللغة التفسير، للتأصيل اللغوي والقرآني، وإلى كتب القراءات القرآنية للتثبت والتوجيه اللازم، حيثما دعت الحاجة، وسيجد القارئ أنَّنا عرضنا لدراسة الصفات الإلهية للكشف عن بنيتها الصرفية وبيان أثرها في توجيه الدلالة، قوةً وثبوتاً، كما أردنا ذلك في عنوان الدراسة، وهو في العادة لا يكون كلاماً في علم العقيدة، المعروف عند علماء المسلمين، بباب (الأسماء والصفات)، وما يتضمنه من الإثبات، أو التأويل لتلك الصفات، ولو جرى الكلام عليها عقدياً

لكان خروجاً عن مقصدنا الذي أردناه في هذه الدراسة، فلزم التنبيه، وفي النهاية: هذا ما أحتسب أجره على الله وحده، والحمد لله من قبل ومن بعد.

مقدَّمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمَّد الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الغُرِّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد..

فقد دأب المشتغلون في علوم العربية على امتداد حركة الدرس بالعناية المبكرة لـ(القرآن الكريم)، وسعَوْا في تدبُّر ألفاظه وآياته، كلٌّ بحسب الهبة الإلهية المهداة له، وسجَّلوا تلك الآثار في دوائر خاصة، ومن أجل هذا نجمت لدينا مكتبة لغوية تفسيرية ضخمة جداً، مليئة في محتواها العلمي بالمعالجة والتحليل والتهميش، الدال على سعة القراءة، وتمثُّل المقروء، وحسن الانتفاع؛ وصولاً للأغراض العلمية لمضامينها؛ وبحثاً عن سبل التلبيات المناسبة لها، وقد أدَّت تلك الأعمال أغراضها المنشودة أداء طيباً، وانتفع الناس منها جيلاً بعد جيل، ومن هنا عمدت أنْ أكون أحد المشاركين في خدمة(القرآن الكريم)، في بحثي الموسوم بـ(الأبنية الصرفية للصفات الإلهية في آية الكرسي)، تمهيداً لدرس صرفي جديد، يغلب على الظن أنَّه لم يكن في دائرة المشتغلين من السلف، التي ألمحنا إليها– آنفاً.

ولمَّا كان شرف العلم بمتعلقاته اخترت(آية) الكرسيّ ميداناً للدرس؛ لكونها مليئة بذكره الله– تعالى– ومشتملة على صفات جلاله، فضلاً عمَّا فيها من الفضل الذي يعرفه أهل العلم والدراية، وما لنا نبتعد كثيراً وقد سبق(الرازي: ١٩٩٩م: ٥/٧) إلى القول: اعلم أنَّ الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم، فكلَّما كان المذكور والمعلوم أشرفَ كان الذكر والعلم أشرف، وأشرفُ المذكوراتِ والمعلومات هو الله سبحانه...، فلهذا السبب كلُّ كلامٍ اشتمل على نعوت جلاله وصفات كبريائه، كان ذلك الكلامُ في نهاية الجلال والشرف، ولمَّا كانت هذه الآية كذلك لا جرم كانت هذه الآية بالغةً في الشرف إلى أقصى الغايات وأبلغ النهايات".

أمَّا منهجي في هذا البحث، فقد ابتدأته بـ(بمقدمة وتمهيد) مباشرين، جرياً على منهج أستاذنا الدكتور عبدالوهاب محمد علي العدواني– حفظه المولى عزَّ وجلَّ– لمطلب الدخول المباشر في الدراسة، وهي الكاشفة لمنهجي في التحليل، فقد التزمتُ فيه بذكر الآية كاملة، صدر الدراسة، أعقبتها بترويس(المفردة) التي سيجرى الكلام عليها، الواحدة تلو الأخرى، سواء جاءت بلفظ الصفة، أم جاءت بصيغة أخرى لها جامع صرفيٍّ بالصفة المراد درسها، واستيعابها في درسٍ صرفيٍّ لم يكن الانشغال بمعطياته إضاعة للوقت والجهد، ولست ادَّعي أنَّ بحثي هذا هو

الأفضل من دراسات أُولئك الفضلاء المتقدمين، لكَّنني– فيما أتصور– أحسنت الاختيار، بما ولَّد هذا البحث، الذي أرجو من الله أنْ يتقبله خدمة للقرآن الكريم وللمشتغلين به، هذا والحمد لله في الختام كما كان في البدء.

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) [البقرة: ٢٥٥]

وأول ما يطالعنا في الآية الكريمة قوله تعالى: (الله)، وهو الاسم الجليل على الذات الإلهية، ولأجل هذا لا يصحُّ التسمية به لغير الله بِوَجْهٍ من الْوُجُوهِ، (ينظر: البيهقي: ١٩٩٣م: ٥٦/١)، ومن شأنْ الاسم المذكور التعبير عن صفاته تعالى، قال(ابن القيم: ١٩٩٦م: ٣٣٧/٣): " اسْمُ " اللَّهِ " سُبْحَانَهُ، " والرَّبِّ، وَالْإِلَهِ "– اسْمٌ لِذاتٍ لها جمِيعُ صِفاتِ الكمالِ ونُعُوتِ الجَلالِ، كالعلمِ، والْقُدْرَةِ، والحَياةِ، والإرادةِ، والْكَلَامِ، والسَّمْعِ، والبصرِ، والبقاءِ، والقِدمِ، وسائِرِ الكمالِ الذِي يَسْتَحِقُّهُ اللَّهُ لِذاتِهِ، فصِفاتُهُ داخِلَةٌ في مُسَمَّى اسْمِهِ، فَتَجْرِيدُ الصِّفاتِ عن الذَّاتِ، والذَّاتِ عن الصِّفَاتِ فَرْضٌ وخَيالٌ ذِهْنِيٌّ لا حَقِيقَةَ لَهُ..".

ولفظ الجلالة–(الله)– من الألفاظ التي اختلف بشأنها علماء العربية اختلافاً كبيراً، حدا ببعضهم إلى القول: " إنَّ هذا الاسم لكثرة دوره في الكلام واستعماله قد كثرت فيه اللغات". (ينظر: الزجاجي١٩٨٦م: ٢٣).

والحاصل ذهب فريق من العلماء إلى كون اللفظ المذكور غير مشتق، ويرى آخرون أنَّه مشتقٌ، ومن ثمة اختلفوا في أصل اشتقاقه إلى آراء، والبيان فيما يلي:

–أَلِه– يأْلَه، بزنة: فَرِحَ– يفْرَحُ، من جملة أفعال الباب الرابع.

–أَلَه– يأْلَه، بزنة: فَتَحَ– يَفْتَحُ، من جملة أفعال الباب الثالث.

ولا يُستبعد أنْ تكون اللغتان المذكورتان بمعنى واحد، وهو(الارتفاع)؛ لأنَّ العرب تُسمِّي كلَّ ما ارتفع (إلهاً)، (ينظر: الرازي: ١٩٥٨م: ١٩/٢).

وعلى اللغة الثانية يكون (الإله) بزنة: (الفِعال)، والمعنى: (المألوه)، ومن ثمة حُذفت الهمزة تخفيفاً على غير القياس، وجرى التعويض عنها بـ(ال)، فلمَّا اجتمعت لامان(ساكنة ومتحركة) أُدغمتا، فصار اللفظ إلى(الله)، ووزنه: (أَلْعال)، وهذا– بحسب كلام(الزجاجي: ١٩٨٦م: ٢٣)– مذهب يونس بن حبيب، والكسائي، والفراء، وقطرب، والأخفش، وساق قول رؤبة بن العجاج:

لِلهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ مِن تألُّهِ

والرجز في: (مجموع أشعار العرب: ٢٠٠٨م: ١٦٥)، والمعنى: (مِنْ تعبُّدٍ)، وعلى هذا يُقال: تألَّه الرجلُ، إذا تعبَّد، وممَّن قال بهذا الرأي(سيبويه: ١٩٨٨م: ١٩٥/٢)، ونصُّ كلامه: " وكأنَّ الاسم والله أعلمُ إلهٌ، فلمَّا أُدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف، وصارت الألف واللام خلَفاً منها، فهذا- أيضا- ممَّا يقويه أنْ يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف".

والمفهوم: أنَّ الألف واللام- المعوضة- بدل من المهزة المحذوفة، وهو ممَّا لازَمَ اللفظَ، بحيث صحَّ دخول حرف النداء عليه، نحو: (يا الله). (ينظر: الزجاجي: ١٩٨٦م: ٢٣، ورنا الحافظ: ٢٠١١م: ١٢٢).

ولم يرضَ (الجوهري: ١٩٨٧م: ٢٢٢٤/٦) بهذا التوجيه؛ لأنَّ(الألف واللام) لو كانتا عوضاً عن الهمزة ما اجتمعتا معها في لفظ(الإله)، ولا يخفى ما في هذا القول من الاستدلال الصحيح، لا ينبغي الانصراف عنه في تحرير أصل اللفظ.

وكان (سيبويه: ١٩٨٨م: ٤٩٨/٣) قد جوَّز- في رأي آخر- أنْ يكون لفظ الجلالة(الله) بزنة (فَعَلَ)، ومن ثم دخلت عليه الألف واللام، لأجل التعريف، فصار اللفظ إلى(الله)، وعلى هذا تكون الألف في(لاه) منقلبة عن الياء، بدلالة: (لَهْي أبوك)، وتُفَخَّمُ اللام تعظيماً(ينظر: ابن يعيش: ٢٠٠١ م: ٤٣/١)، والأصل: (لاهت العروس تلوه)، إذا احتجبت، وعلى هذا يكون سبحانه وتعالى محتجباً من جهة الكيفية(ينظر: الرازي: ١٩٨٢م: ٣٣).

ومن العلماء من ذهب إلى كون الأصل(الهاء) وحدها، كناية عن الغائب، وذلك مثبت في فطرة العقول، ثم زيدت فيه لام الملك، وأنَّه- تعالى- خالق الأشياء ومالكها فصار" له" ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتفخيماً(ينظر: القرطبي: ١٩٦٤ م: ١٠٣/١)، ولم يمنع (ابن الجوزية: د. ت: ٢٢) القول باشتقاق لفظ (الله)، لأنَّ المقصود من الاشتقاق ليس اشتقاقاً عادياً، وإنَّما اشتقاق تلازم.

وذهب الفريق الآخر بأنَّ لفظ (الله) غير مشتق من شيء، وفي طليعة القائلين: (الخليل: د.ت: ٩١/٤)، وقوله: "والله، لا تُطْرَحُ الألفُ من الاسْمِ، إنَّما هو الله على التمام، وليس [الله] من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فِعْل، كما يجوز في الرحمن الرحيم"، وتبعه آخرون، منهم(الزركشي: ١٩٨٥م: ١٠٦)، واستدلَّ بقوله تعالى: **(هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)** [مريم: ٦٥]، ويرى(أبو هلال العسكري: د. ت: ١٨٥): أنَّ لفظ: " (الله) اسْم لم يُسمَّ بِهِ غير الله وسُمِّي غير الله إِلَهًا على وَجه الْخَطَإ، وهِي تَسْمِيَة الْعَرَب الْأَصْنام آلِهَة، وأمَّا قول النَّاس لا معبود إِلَّا الله فمعناه: أَنَّه لا يسْتَحق العبادة إِلَّا الله تعالَى".

ونخلص من مجمل ما تقدَّم بما ذهب إليه (ابن القيم الجوزية: د.ت: ٢٢/١): بأنَّ لفظ الجلالة (الله)، دالٌّ على صفات الله تعالى، ومنها الألوهية، كسائر أسماء الله الحسنى، فلزم التنبيه.

وقوله تعالى: **(الْحَيُّ الْقَيُّومُ)**:

حيث جاءت صيغة (الفَعْل) على هيئة الاسم (الحَي)، معبِّرة عن صفة (الحياة)، ولا يخفى أنَّ هذا الوزن من المقيس في أوزان الصفة المشبهة، ومثله: (السِّبْط، والشَّهْم)، وقد حكم اللغويون أنَّ (الحيَّ)، مأخوذ من الفعل (حَيِيَ)، فهو من جملة أفعال الباب الرابع، (ينظر: الأزهري: ٢٠٠١م: ١٨٣/٥، والجوهري: ١٩٨٧م: ٢٣٢٣/٦).

وقد اخْتُلِفَ في أصله، فذهب (العكبري: ١٩٦١م: ١٠٦/١) إلى أنَّ الأصل(حَيْيٌ)، قبل إدغام العلتين وصيرورة اللفظ على ما صار إليه، وقيل: أصله: (حَيِوَ)، ومن ثمة قُلِبت الواو ياء؛ لانكسار ما قبلها، وأُدغمت العين في اللام، فصار اللفظ إلى: (حيّ)، وقيل: الأصل: (حَيْيِيٌ)، ووزنه: (فَيْعِلٌ)، فَخُفِّفَ على غرار (مَيِّت ومَيْت)، وبهذا انتهى اللفظ إلى (حيّ)، (ينظر: أحمد الخرَّاط: ١٩٨٩م: ٩٥).

ومن العلماء مَنْ ذهب إلى أبعد من ذلك كـ(الفراء: د. ت: ١٥٩/٣)، فقد عدَّ اللفظ المذكور جمعَ جمعٍ، وعلى هذا يقال: (حياة وحيوات وحيّ)، والأصل: (حُيّ)، ومن ثمة كسرت الفاء قبل إدغام العلتين.

والحاصل: أنَّ الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء، (ابن فارس: ١٩٧٩م: ١٢٢/٢)، وبهذا التوجيه ورد لفظ (الحيّ) في الآية نفياً للموت وإثباتاً للحياء، ومن الأول، ما ذكره (الراغب: ١٩٩١م: ٢٦٨) بأنَّ الحياة الَّتِي يُوصَفُ بها البارِي تعالَى، أنَّه حيٌّ، فمعْناه: لا يصحُّ عَلَيْهِ المَوْتُ، وليس ذلِكَ إلاَّ للَّهِ تعالى، ولا تعرف العرب عن (الحيّ والحياة) غير هذا (ينظر: الزجاجي: ١٩٨٦م: ١٠٢)، ومن الآخر: هو ما خُصَّ به سبحانه وتعالى من الكمال والجود والرحمة، لكون كمال الحياة في (الأول) يستلزم كمال الرفق والعطاء في (الثاني)، وفي الحديث: **((إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ))**، (رواه الترمذي: ١٩٧٥ م: ٥٥٧/٥)، أَيْ: كريمٌ معامِلٌ عبدَهُ معاملةَ الحَيِيِّ بالعفوِ والصَّفْحِ، (ينظر: علي القاري: ٢٠٠٢م: ٤٣١/٢).

وقد عرض(ابن القيم: د.ت: ١٨٤/٢) فائدة الدعاء بـ(الحي القيوم)، بقوله: "... عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، وهو اسم(الحيّ القيوم)، فإنَّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلَّا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وبهذا الطريق

العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والكلام وسائر صفات الكمال.."

ونخلص من هذا: بأنَّ أصل (الحيّ)، هو من أسماء الله الحسنى، وقد تضمَّن صفة الحياة، والمراد: (الثبات والاستمرار) دون (الحدوث والتجدد)، وهذا هو ما نستشعره- أيضاً- ببناء الفعل(حَيِيَ- يَحْيَى)، المتزن بـ(فَرِحَ – يَفْرَحُ)، والغالب في معنى الباب الأوصاف اللازمة، ومن أجل هذا سمَّاها(هنري فليش: د. ت: ١٤٤) (أفعال الصفة)، و(اللازم) من أفعال (الباب) المذكور أكثرُ من(المتعدي)، وهذا ما نلحظه- أيضاً- في الفعل نفسه، لهذا خُصَّ التعبير عنه سبحانه وتعالى بـ(الاسم والمصدر)، دون الفعل (ينظر: ابن القيم: ١٦٢/١).

ومن تمام التعقيب الذي أردنا إثباته ما ذكره (الرازي: ١٩٩٩م: ١٤/٢٢) بقوله: "وأما الاسم الذي يكون مدحاً، فمنه ما إذا قرن بغيره صار أبلغ، نحو قولنا: حي، فإذا قيل: الحي القيوم، أو الحي الذي لا يموت كان أبلغ.."، وهذا من المناسب المنهجي- أيضاً- لكون كلامنا سيتجه ثانياً إلى لفظ (القيوم)، الوارد في سياق ثنائية الصفات الإلهية، واللفظ بزنة: (فَيْعُوْل)، هو مندرج ضمن المسموع من أبنية المبالغة، غير أنَّه لا يدلُّ على (الحدوث والتجدد)، كأبنية المبالغة، بل يؤول معناه إلى(الثبوت والدوام)، وهو مأخوذ من الفعل (قام يقوم)، ومعنى هذا أنَّه من جملة أفعال الباب الأول، والأصل: (القَيْوُم)، اجتمعت الياء والواو، وسُبِقت الأولى بالسكون، فقُلِبت الواو ياءً، ومن ثَمَّ أُدْغِمت العلتان، (ينظر: أحمد الخرَّط: ١٩٨٩م: ٢٢٧)، والمراد: القائم الحافظ لكلِّ شيء، والمعطى له ما به قِوامُهُ(ينظر: المفردات: ١٩٩١م: ٦٩١)، فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، والقائم بنفسه لا يحتاج إلى من يُقيِّمُه بوجهٍ من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، فهو المُقَيِّمُ لغيره، فلا قيام لغيره إلَّا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم(الحي القيوم) صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة(ينظر: ابن القيم: ١٨٤/٢).

وقد قرأ ابن مسعود وعمر بلفظ (القيَّام)، وقرأ علقمة وأبو رزين بلفظ (القَيِّم)، (ينظر: عبداللطيف الخطيب: ٢٠٠٠م: ٣٦١/١)، وأنكر بعضهم عربية اللفظين، وعلى هذا فلفظ (القيَّام) عبريٌ، ولفظ (القيِّم) سرياني، والقول بعربية اللفظين أوفق لدى جمهرة اللغويين والمفسرين- أيضاً- ومنهم: (ابن جني:١٩٩٩م: ١٥١/١، والرازي: ١٩٩٩م: ٩/٧)، الذي علَّق بقوله: "وليس الأمر كذلك، لأنَّا بيَّنا أنَّ له وجهاً صحيحاً في اللغة".

ويبقى ممَّا تقدّم ما ذكره (ابن فارس: ١٩٧٩م: ٤٣/٥)، في معرض كلامه على(القاف والواو والميم) من دلالة على أصلين صحيحين، الأول: جماعة ناس، والآخر: انتصاب وعزم، ومن الأول: القوم، ومن الثاني: قام قياماً، ويكون قام بمعنى: العزيمة، وهم يقولون في الأول: قيامُ

حتمٍ، وفي الآخر: قيامُ عزم، ومنهما يَكْثُرُ مجيء (اسم الفاعل) على زنة (قائم)، فلمَّا أُريد (المبالغة) في الوصف المذكور فيها جيء به على بناء(فعَّال)، وحين أُريد الإفراط في الوصف جيء به على بناء (فَيْعُوْل)، وهو أقصى درجة في الوصف.

والحاصل من هذا: أنَّ (القيُّوم)، أكثر استعمالاً وأقوى درجة في الوصف وديمومته لله سبحانه وتعالى، لكونه مُتضمِّناً صفة القائم بإصلاح حال كلِّ ما سواه، وذلك لا يتم إلا بالعلم التام والقدرة التامة، فضلاً عن كونه درَّاكا لجميع الممكنات، فعالاً لجميع المحدثات.

وقوله تعالى: **(لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ)**:

والمقصود: نفيُ صفتي (السِّنَة والنوم) مطلقاً، سواء كانا مجتمعين، أو مفترقين، فقد ورد لفظ (سنة ونوم) في الآية نفياً عن وقوع السنة والنوم من الله تعالى، وتنزيهاً لذاته تعالى من أنْ يتصف بهما، ولمَّا كان المراد نفي الصفتين عنه– عزَّ وجلَّ– جيء بصيغة مشعرة باستمرار النفي المشار إليه، والمعنى: أنَّه نفيٌ للصفات السلبية التي لا تليق بجلاله، ونحن نزيد اللفظين بياناً وتوضيحاً، فالأولى: بزنة(عِلَة)، وفعلها المجرد: (وَسِنَ)، من أفعال الباب (الرابع)، وقياس مصدره (وَسَناً وسِنَة)، والهاء عوض عن الواو المحذوفة، وأصل (الواو والسين والنون)، كما قال (ابن فارس: ١٩٧٩م: ١١١/٦)، " كلمتان متقاربتان. الوَسَنُ: النعاس، وكذا السِّنةُ..، والكلمة الأخرى قولهم: دع هذا الأمر فلا يكوننَّ لك وسناً، أي: لا تطلبه، ولا يكونن من همك"، ورجل وسنان، وامرأة وسْنَى، أي: بهما سِنَة، والقول باشتقاقه من (الوَسَن)، بمعنى: العناس حدا بالقائلين به إلى آراء مختلفة، منها": أنَّه النعاس من غير نوم، وقيل: أوَّل النوم، وقيل: شدته، وذهب بعضهم إلى أنَّ السِّنة نُعاس يبدأ فِي الرأْسِ، فإذا صار إلى القَلْبِ فهو نَوْمٌ، ونفهم مما تقدَّم: أنَّ السِّنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب.

وكان (الراغب الأصفهاني: ١٩٩١م: ٨٧٢) قد ذكر " الوَسَن والسِّنَة: الغفلة والغفوة "، وساق الآية المذكور، ثم قال بعدها: "ورجلٌ وَسْنَانُ، وتَوَسَّنَها: غشيها نائمة، وقيل: (وَسِنَ وأَسِنَ): إذا غشي عليه من ريح البئر، وأرى أنَّ (وَسِنَ) يقال لتصوّر النّوم منه لا لتصوّر الغشيان"، وينكشف لنا من هذا النصَّ أنَّ (وَسِن وأَسِنَ) دائرة المعنى في مدار (التَّغير) من حالٍ إلى حال، ومن ذلك: أَسِنَ الماء يأْسَنُ، وأَسَنَ يأْسُنُ، كما يقال: وَسِنَ يَوْسَنُ وسناً وَسِنَةً ووَسْنَةً، ومعنى الفعلين لا يبعد عن معاني (الانتقال) من حال إلى حال، فضلاً عمَّا في معاني البابين المذكورين من دلالةٍ على الصفات القبيحة والأدواء والعلل، وهذا هو المتحقق في معنى (السِّنَة) بنفي الصفة المذكورة عن الله– سبحانه وتعالى، ومن جميل ما ذكره(الرازي: ١٩٩٩م: ١٠/٧) قوله: "فإن قيل: إذ كانت

السنة عبارة عن مقدمة النوم، فإذا قال: لا تأخذه سنة، فقد دل ذلك على أنَّه لا يأخذه نوم بطريق الأولى، وكان ذكر النوم تكريرا.

قلنا: تقدير الآية: لا تأخذه سنة فضلاً عن أنْ يأخذه النوم"، والمراد: أنَّ الله تعالى لا يدركه خلل، ولا يلحقه ملل بحال من الأحوال(ينظر: القرطبي: ١٩٦٤م: ٢٧٢/٣).

أمَّا لفظ (النوم)، الوارد في الآية التي نتكلم عليها فهو بزنة: (الفَعْل)، وهو صالح للاسمية والمصدرية، مأخوذ من الفعل (نام- ينام)، من جملة أفعال الباب الرابع، والأصل: (نَوِمَ- يَنْوَمُ)، ومن ثمة قلبت الواو فيهما ألفاً، ونقل حركتها في مضارعه إلى ما قبلها، وفي النهاية صارا إلى: (نام- ينام)، ولم تقلب الواو في مصدره واسمه- نعني: (النوم)؛ لسكونها، والمراد به: الغَشْيَة الثَّقِيلَة التي تَهْجُمُ على الْقَلْبِ فَتَقْطَعُهُ عن المعرفة بالأشياء، ولهذا قِيلَ هو آفَةٌ، لأَنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ، وعرَّفه (الشريف الجرجاني: ١٩٨٣م: ٢٤٨): بأنَّه "حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقي البخارات إلى الدماغ".

وواقع الحال: أنَّ النوم يستعمل على مراتب، سنعرضها بكلام(الثعالبي: ٢٠٠٢م: ١٢٥) بقوله: "أَوَّلُ النَّوْم النُّعَاسُ، وهو أَنْ يحْتَاجَ الإنْسَانُ إلى النَوْم ثُمَّ الوَسَن، وهو ثِقَل النُّعاسِ، ثُمَّ اَلتَّرْنِيقُ، وهو مُخالَطَةَ النُّعاسِ العَيْنَ، ثُمَّ اَلكَرَى والغُمْضُ، وهُوَ أنْ يَكُونَ الإنسانُ بين النَّائِمِ واليَقْظَانِ، ثُمَّ التَّغْفِيقُ، وهو النَّوْمُ وأنْتَ تَسْمَع كَلاَمَ القَوْم عَنِ الأَصْمَعِيّ، ثُمّ الإغْفَاءُ، وهُوَ النَّوْمُ الخَفِيف، ثُمَّ التَّهْوِيمُ والغِرارُ والتَّهْجَاعُ، وهُوَ النَّوْمُ القَلِيلُ، ثُمَّ الرُّقَادُ، وهوَ النَّوْمُ الطَّوِيلُ، ثُمَّ الهُجُودُ والهُجُوعُ والهُبُوغ، وهُوَ النَّوْمُ الغَرقُ، ثُمَّ التَّسْبِيخُ وهو أَشَدُّ النَّوْمِ".

وكان (الراغب الأصفهاني: ١٩٩١م: ٨٣٠) قد ذكر أنَّ "النّوم فُسِّرَ على أوجه، وكلّها صحيح بنظرات مختلفة، قيل: هو استرخاء أعصاب الدّماغ برطوبات البخار الصاعد إليه، وقيل: هو أن يتوفّى الله النّفس من غير موت،.. وقيل: النّوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، ورجل نؤوم ونُوَمَة: كثير النّوم، والمَنَام: النّوم".

ونخلص من مجمل ما تقدَّم: إلى أنَّه- تعالى- نفى أيَّ ملمحٍ من ملامح الفتور نفياً قاطعاً، وهذا هو المتحقق بدلالة التنكير في ثنائيتي(سنة ونوم)، فلزم التنبيه.

وقوله- تعالى: **(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)**:

جاءت صيغة (يَفْعَلُ) في هذا الموضع من الآية على هيئة الفعل المضارع (يَعْلَمُ)، وعبَّرت عن معنى العلم، مأخوذ من (عَلِمَ)، الذي بيَّنه (ابن فارس: ١٩٧٩م: ٥٥/١) بقوله: "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره"، ولا يخفى علينا ما الفعل من معنى (الإدراك) في معرفة الأشياء، فيقال: (عَلِمَ- يَعْلَمُ)، إذا تيقَّنَ، والحاصل: أنَّ الفعل من

جملة أفعال الباب الرابع، الدالة أفعالها على النعوت اللازمة والعارضة، ولا فرق في هذا بين (اللازم) منها و(المتعدي)، والفعل المذكور من قبيل (المتعدي)، كما لا يخفى، ومن موارده القرآنية بلفظ (عَلِمَ)، قوله تعالى: **(الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا)** [الأنفال: ٦٦] والمعنى في كل هذا صائر إلى إثبات صفة العلم له سبحانه وتعالى يقيناً، ولا فرق في هذا بمجيء اللفظ بصيغة (الماضي أو المضارع)، (ينظر: محمد الدوري: ١٩٧١م: ١٩١).

فهو سبحانه – وتعالى– يعلم ما كان، وما يكون، وما لا يكون لو كان كيف يكون، وعلمه صفة قديمة بِقِدَمِه، قائمة بذاته (ينظر: الفيومي: ٢٠١٧م: ٤٣٠).

وقد ورد من الأصل المذكور لفظ (عِلْمه) في الآية نفسها بقوله: **(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)** مصدراً سماعياً في (عَلِمَ– يَعْلَمُ)، وذكره (سيبويه: ١٩٨٨م: ٣٥/٤) وناظره بـ(حَفِظَ– حِفْظاً)، وهذا هو الشأنُ في مصادرِ(الأفعالِ الثلاثيةِ) المجردةِ بعامة، والمقصود: أنَّها لا تُدرك إلا بالسماع، كما قال الصرفيون، وقد ذكر (الرازي: ١٩٩٩م: ١٢/٧) أنَّ المراد بـ(العلم) –هنا– (المعلوم)، كما يقال: هذا خلْقُ الله، بمعنى: مخلوقه، والمعنى: أنَّ أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى، ثم ضعَّف كونها لأثبات صفة العلم لله تعالى، لوجوه، وقال:" أحدها: أنَّ كلمة (مِن) للتبعيض، وهي داخلة هاهنا على العلم، فلو كان المراد من العلم نفس الصفة لَزِمَ دخول التبعيض في صفة الله تعالى، وهو محال والثاني: أنَّ قوله: (بما شاء) لا يأتي في العلم إنَّما يأتي في المعلوم.

والثالث: أنَّ الكلام إنَّما وقع– هاهنا– في المعلومات، والمراد: أنَّه– تعالى– عالم بكل المعلومات، والخلقُ لا يعلمون كلَّ المعلومات، بل لا يعلمون منها إلَّا القليل" .

ومن موارد الأصل المذكور– أيضاً– مجيؤه وصفاً – لله سبحانه وتعالى بصيغة (عالم وعلَّام وعليم)، والأول: اسم فاعل، ومنه: في قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)** [الأنعام: ٧٣]

والمقصود: نسبة معلومية الأشياء إليه، فهو اسم صفة فعلية؛ لأنَّ علمه للأشياء سواء كان علمه لنفسه، أم لغيره في حقيقته هو صفة في فعله تعالى، وعلى هذا يقال: الله عالم بنفسه وعالم بغيره، أي: عَلِمَ نفسَه، وعَلِمَ غيرَه، فهو في هذا مشابه لفعله المتعدي تماماً، لذا جاءت صفته تعالى بلفظ(العالم) للدلالة على علمه بغيره، وأنَه لا يخفى عليه شيء، (ينظر: محمد الدوري: ٢٤٤).

وحين يُراد (المبالغة) في الوصف المذكور فيها يُصار إلى صيغة: (فَعَّال)، فيقال: (علَّام)، للدلالة على التكثير والمبالغة، والناظر في أمثلة اللفظين في (القرآن الكريم) يجد أنَّ الأول جاء مقروناً بعلم الغيب (مفرداً)، كما يجد- نعني: الناظر- الثاني مقروناً بعلم الغيب جمعاً، كما في قوله تعالى: **(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)** [التوبة: ٧٨].

ولا شكَّ أنَّ هذا ناجم من (التناسب) بين الصيغ وما وُضِعَت له، كما جاء لفظ(العليم)، المتزن بـ(فعيل) درجة معنوية ثالثة للدلالة على معنى(الثبات والدوام)، وهي الأصل في أبنية(الصفة المشبهة)، ومن أجل هذا قال(ابن الأثير ١٩٧٩م: ٥١٣/٢): " وفَعِيلٌ مِنْ أَبنية الْمُبَالِغَةِ فِي فاعِلٍ، فإذا اعْتُبِرَ العِلم مُطْلَقًا، فهو العليم" إذ العلم ما تستحقه النفس في كمالها لذاتها، فافترق بذلك عن(عالم)، لأنَّ الوصف بـ(عالم) منسوب إلى علمه تعالى بالأشياء، أمَّا الوصف بـ(عليم)، فالمقصود: كمال العلم المتصف به، فضلاً عن دلالة الإحاطة الشاملة بالأشياء، كما في قوله تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [البقرة: ٢٣١].

ونخلص من هذا إلى أنَّ صيغة (يَعْلَمُ) في الآية التي جرى الكلام عليها قد دلَّت على ثبوت صفة العلم لله وديمومته، والمقصود من هذا الكلام أنَّه- تعالى- عالم بأحوال الشافع والمشفوع له، فيما يتعلق باستحقاق العقاب والثواب؛ لأنَّه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية، وفي هذا دلالة على أنَّه ليس لأحد من الخلائق أنْ يقدم على الشفاعة إلا بإذن الله تعالى (ينظر: الرازي: ١٩٩٩م: ١٢/٧).

وقوله تعالى: **(وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا)**:

ورد لفظ (يؤوده) في الآية نفياً عن وقوع الثقل على الله تعالى من السماوات والأرض، وتنزيهاً لذاته تعالى من أنْ يتصف به، ولمَّا كان المراد نفي صفة (الثقل) عنه – عزَّ وجلَّ- جيء بصيغة مشعرة باستمرار النفي المشار إليه، والمقصود: أنَّه نفي للصفات السلبية عنه سبحانه وتعالى- وإثبات لصفة (الحفظ) منه سبحانه وتعالى، لكنَّه- تعالى- عبَّر في الأول بلفظ الفعل المضارع(يؤوده)، وأصل (الهمزة والواو والدال)، كما قال (ابن فارس: ١٩٧٩م: ١٥٤/١) يدلُّ على العطف والثناء، يقال: آدني الْأَمر يؤودني أوداً، أي: بهظني، وأدت العود أوداً، إذا اعتمدت عليه بالثقل حتى أملته، وذكر (الراغب الأصفهاني: ١٩٩٩م: ٢٢٦/١) في تفسير الآية: أنَّ المقصود(لا يثقله)، ولمَّا جرت العادة أنَّ متحمل الثقل يعوج في الممر استعير(أده) كذا للثقل، والمعنى: لا يثقله ولا يَشقّ عليه حفظ السموات والأرض.

ومن أجل هذا ورد التذييل بالآية متضمناً لصفة (الحفظ)، و(الحِفْظُ) بزنة (الفِعْل)، والمقصود: أنَّه مصدر سماعي في (حَفِظَ- يَحْفَظُ)، كما أسلفنا في كلامنا على لفظ (العلم)، و(حَفِظَ) في

اللغة أصل يدلُّ على مراعاة الشيء، كما قال (ابن فارس: ١٩٧٩م: ٨٧/٢، والراغب الأصفهاني: ١٩٩١م: ٢٤٤)، يقال: حفظت الشيء حفظاً، أي: حفظته عن الضياع، وصنته عن الابتذال، ويقال تارة لهيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، وتارة لضبط الشيء في النفس، ويضادّه النسيان، وتارة لاستعمال تلك القوة، فيقال: حَفِظْتُ كذا حِفْظاً، ثم يستعمل في كلّ تفقّد وتعهّد ورعاية، قال الله تعالى: **(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [يوسف: ١٢].

وعلى هذا يصحُّ المعنى: أنَّه تعالى حافظُ السموات والأرض، كما قال(ابن عاشور: ١٩٨٤: ٢٤/٣) في التفسير: " أي: أنّ الذي أوجد هاته العوالم لا يعجز عن حفظها".

وقد شاع الوصف بـ(الحفيظ)، مأخوذاً من الأصل الذي نتكلم عليه، والمراد: (الحافظ)، ومجيء(فعيل) بمعنى(فاعل) ليس غريباً في العربية بعد صيرورته مألوفاً في الاستعمال، فقد قالت العرب قديماً: (رحيم وعليم)، يريدون: (راحماً وعالماً)، إذا أرادوا تحقيق المبالغة في الوصف بلفظ(اسم الفاعل)، قال تعالى: **(وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ)** [سبأ: ٢١].

والحاصل من هذا عوداً على بدء: أنَّ قوله تعالى: **(وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا)**، وأرد على إثبات الصفات المنفية، والمعنى: أنَّه سبحانه وتعالى لا يثقل عليه حفظ السموات، والأرض، فضلاً عن الإشعار بالرعاية والقوة والقدرة،، فنفي الصفة المذكورة، هو في الحقيقة إثبات كمال ضدها، بدلالة قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)** [فاطر: ٤١].

ونختم كلامنا بأنَّ اللفظ الذي نتكلم عليه قد جرى فيه (الوصف) على (الفعل) بمعنى: (الحدوث والتجدد)، والمراد به: نفي وقوع الثقل على الله تعالى، كما أنَّ صفة الحفظ دائمة، فضلاً عما يتضمَّنَه من الإشعار برعايته سبحانه وتعالى لهذا الكون المتضمنة في (القدرة، والحياة، والرحمة، والحكمة، والقوة)، وهو المقصود في أصل الفعل، كما فقهنا هذا من كلام ابن فارس السابق، فلزم التنبيه.

وقوله تعالى: **(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)**:

والمراد: (علو القدر والعظمة)، وهما صفتان ثابتتان بزنة(فعيل)، وهي الأصل في أبنية(الصفة المشبهة)، مختصة بالسجايا والطبائع الثابتة، بمعنى: التصاقها الدائم بالموصوف بها كالتصاق(الكرم) بالرجل في قولنا: (كان حاتم الطائيُّ رجلاً كريماً)، (قال ابن فارس: ١٩٩٧م: ١٧١): " وتكون الصفات اللازمة للنفوس على(فعيل)، نحو: "شريف وخفيف"، و(قال ابن سيدة: ١٩٩٦م: ٢٩١/٤): " وتجيء الْأَسْماء على(فَعيل)، وذلك قَبيحٌ ووسيمٌ وجَميل"، وانتهى أحد

المعاصرين الفضلاء إلى أنَّ بناء(فعيل) دالٌّ على الثبوت والدوام، وهو ما انماز به الوزن المذكور عن غيره.(ينظر: السامرائي: ٢٠٠٧م: ٦٥).

والحاصل: لمَّا كان وصف(العلو) ملازماً لله سبحانه وتعالى جيء به على زنة(فعيل).

والمعنى: أنَّه قاهر وغالب لغيره، وأنَّه غير محتاج إلى غيره في أمر من الأمور، ولا ينسب غيره في صفة من الصفات ولا في نعت من النعوت، وهو إشارة إلى ما بدأ به في الآية من كونه قيوماً بمعنى كونه قائماً بذاته مقوماً لغيره(الرزي: ١٩٩٩م: ٨/٧).

وكان (ابن فارس: ١٩٧٩م٤/١١٣) قد عدَّ (العين واللام والحرف المعتل ياء كان أو واوا أو ألفا) في اللغة أصلاً يدلُّ على (السمو والارتفاع)، ويقال لكلّ شيء(علا- يَعْلو- علواً)، ويقال في الرِّفعة والشرف: (علِيَ- يَعْلى- عَلاءً)، فالعَلاءُ الرِّفْعَةُ، والعُلُوُّ العظمة والتجبّر(ينظر: الخليل: د. ت: ٢/٢٤٥)، وكان (الراغب: ١٩٩١م: ٥٨٣)، قد ذكر أنَّ(علا- يعلو) يقال في المحمود والمذموم، و(عَلِيَ- يَعْلَى) لا يقال إلا في المحمود، واستدلّ على الأول بقوله تعالى: **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ)** [القصص: ٤]، ومن الثاني قوله تعالى: **(وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)** [الحج: ٦٢]، وهذا هو المقصود في اللفظ الذي نتكلم عليه، ولا يخفى أنَّ الجامع بين اللغتين هو أصل بنيتها اللغوية من(عين ولام) وحدها، لأنَّ ما يثلثهما يُوَلِّدُ منهما بنىً صرفيةً، لا تلتقي في باب واحد من أبواب (الفعل الثلاثي) المجرد، والبيان فيما يلي:

- عَلَا- يعلو: من الباب الأول.
- عَلِيَ- يَعْلَى: من الباب الرابع.

والحاصل من هذا: أنَّ (تداخل اللغات) غير متحقق- هنا، مع تخالف الدلالة بين (علا- يعلو) ارتفاعاً، و(عَلِيَ- يَعْلى) شرفاً ورفعةً، لأنَّ دلالة الأفعال المتزنة بـ(فَعَلَ- يَفْعُلُ) لا تبعد عن معاني (الطلب والاضطراب والتحصيل والرفعة)، ودلالة الأفعال المتزنة بـ(فَرِحَ – يَفْرَحُ)، لا يبتعد الواحد منها من (نعتٍ) لازمٍ أو عارضٍ، ولهذا سمَّاها أحد المعاصرين أفعال الصفة (ينظر: هنري فلش: د.ت: ١٤٤، وخديجة الحديثي: ١٩٦٥: ٣٨١).

والملحوظ في هذا أنَّ هذا الباب هو الباب الذي تقاس منه أبنية الصفة المشبهة، وهي آتية على زنة(فَعِيْل)، نحو: (رَحِمَ)، فهو(رَحِيْم)، ومنه(عَلِيَ)، فهو(عليّ)، والأصل: (عَلِيْيٌ)، قبل إدغام الياءين في الصيرورة إلى(عليّ)، والمعنى في الآية الكريمة لا ينصرف عن كونه(العليّ المتعالي) رفعة وشأناً وقوة وجبروتاً، كما لا يخفى.

ولفظ (العظيم) في الآية الكريمة **(وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)** واردٌ على أصل دلالته- بوصفه (صفةً مشبهةً)- أخرى، والمعنى: عظيم القدر والخطر والشرف، وأصل(العين والظاء والميم) كما

قال(ابن فارس: ١٩٧٩م: ٣٥٥/٤) يدلُّ على كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم. تقول: عَظُمَ يعظُم عظماً، وعظَّمته أنا، فإذا عظُم في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومعظم الشيء: أكثره، وذكر (الراغب الأصفهاني: ١٩٩١م: ٥٧٣) أنَّ (عَظُمَ الشيء)، أصله: كبُر عَظْمُه، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لكلِّ كبير، فأُجْرِيَ مُجراه محسوساً كان أو معقولاً، عينا كان أو معنى، وقد أشار العلماء أنّ (عَظُمَ- يَعْظُمُ) من أفعال الباب الخامس، وهو الباب الذي تُصاغ منه أبنية الصفة المشبهة.

وقد ذكر (الخليل د.ت: ٩١/٢): عَظُمَ الرّجُلُ، فهو عظيمٌ في الرأي والمجد، ولم يرض (الأزهري: ٢٠٠١م: ١٨٢/٢) بهذا التوجيه؛ لأنَّ العظمة في الحقيقة لله عز وجل، وإذا وُصِفَ العبد بالعظمة، فهو ذم، وقال: " أما عظمة الله فلا توصف بما وصفها به الليث... وأمَّا عظمةُ العبدِ فهو كِبْرُه المذموم وتجبره"، والحقيقة أنَّنا لم نجد هذا القول معزواً إلى الليث في كتاب العين، وهذا على ما يبدو راجع إلى رأي الأزهري بكون كتاب العين هو لليث، وليس للخليل.

ويعضد ما ذكره الأزهري، ما رواه ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم - يَقُولُ: " مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ في مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وهو عليه غضبانُ ". رواه (الإمام أحمد في مسنده: ٢٠٠١ م: ٢٠٠/١٠).

والحاصل من هذا لمَّا كان وصف العظمة ملازماً لله تعالى جيء به على زنة(فعيل)، للدلالة على ثبات الوصف وديمومته في الموصوف، وقد أحسن(الزبيدي: د.ت: ١١١/٣٣) القول بأنَّ: " عَظَمَةَ اللهِ تعالَى لا تُكَيَّفُ ولا تُحَدُّ ولا تُمَثَّلُ بشيءٍ، ويجِبُ على العِبادِ أنْ يَعْلَمُوا أنَّه يُقال: عَظيمٌ، كما وَصَفَ نَفسَه، وفوق ذلك بلا كَيْفِيَّة ولا تَحْديدٍ".

خاتمة ونتائج

ويكفي هذا البحث أنْ يكون مولوداً من أعظم آية في القرآن، كما أخبر بذلك عليه الصلاة والسلام، وهذا فيما أتصوره- نتيجة كبرى في ذاته، والحاصل: دلالتها على توحيد الله، ونفي الشرك، الذي هو أعظم مقاصد الدين، فضلاً عن تبيان ملكوت الله وكبريائه وصفاته، ولعملي العلمي فيها من المادة الصرفية بدت لي في كلِّ لفظة مثار إعجاب في صيغها ومضامينها، المختارة بعناية فائقة، ومنها: غلبة صياغة الصفات الإلهية من أبنية الصفة المشبهة، الدالة على (ثبوت الصفة) في الموصوف، فضلاً عن دلالة أفعالها على المعنى الدائم المستمر، على غير المعهود في معنى الأفعال، حيث لزم في أفعال الآية الخروج من المعنى الطارئ إلى المعنى الدائم المستمر حين اقتضى الكلام عليه، كما شاهدنا ذلك في دلالة الفعل (يعلم)، وقد حاولنا بيان المقاصد في كلِّ موضع من الدراسة بحدود ما نملك من العلم الضئيل، والله تعالى أعلم، وآخر دواعنا أنْ الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

-ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، (١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى- محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية- بيروت.

-أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، (د. ت)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

-البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني(ت ٤٥٨هـ)، (١٩٩٣م)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، ط١.

-الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، (٢٠٠٢م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١.

-الخرَّاط، أحمد محمد، (١٩٨٩م)، معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق.

-الدوري، محمد ياس خضر(٢٠٠٦م)، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني- لبنان.

-خديجة عبدالرزاق الحديثي(١٩٦٥م)، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط١.

-الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين(ت٦٠٦هـ)، (١٩٩٩م)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ)، (١٩٩١م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١.

-الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، (١٩٩٩ م)، تفسير الراغب الأصفهاني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط١.

-الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت ١٢٠٥هـ)، (د.ت) تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

-الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، (١٩٨٦م)، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة.

-سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي(ت١٨٠هـ)، (١٩٨٨م) ، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، ط٣.

-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت ١٣٩هـ)، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية - تونس.

-عبداللطيف الخطيب(٢٠٠١م)، معجم القراءات، دار سعد الدين.

-علي القاري، ابن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، (٢٠٠٢م)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت - لبنان.

-الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجواهري(ت٣٩٣هـ)، (١٩٨٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، ط٤.
-ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت ٣٩٥هـ)، (١٩٧٩م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
-فاضل صالح السامرائي (٢٠٠٧م)، معاني الأبنية في العربية-، دار عمار، ط٢.
-الفراهيدي البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت١٧٠ هـ)، (د. ت)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط.
-الفيومي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠هـ، ظناً)، (٢٠١٧م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، عنى به الأستاذ الدكتور: أيمن عبدالرزاق الشوَّا، ط١، ٢٠١٧م.
-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت٦٧١هـ)، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢.
-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين(ت٧٥١هـ)، (د.ت)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
-المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده(ت٤٥٨هـ)، (١٩٩٦م)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط١.
-الهراوي، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)، (٢٠٠١م) ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١ .
-هنري فليش،(د.ت)، العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد- تعريب وتحقيق: عبد الصبور شاهين، دار المشرق- بيروت- لبنان، ط٢.
-وليم ابن الورد البروسي، (٢٠٠٨م)، مجموعة أشعار العرب، وهو مشتمل على ديواني الأراجيز للعجاج، والزفيان وعلى أبيات مفردة منسوبة إليهما.

almasadir walmarajie:

-abn al'athir, majd aldiyn 'abu alsaeadat almubarak bin muhamad bin muhamad bin muhamad aibn eabd alkarim alshaybanii aljazarii abn al'uthir (t 606hi), (1979mi), alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, tahqiqu: tahir 'ahmad alzaawaa- mahmud muhamad altanahy, almaktabat aleilmiatu- bayrut
-'ahmad bin hanbul, 'abu eabd allh 'ahmad bin muhamad bin hanbal bin hilal bin 'asad alshaybani (t 241hi), (d. ta), almusanadi, tahqiqu: shueayb al'arnawuwt - eadil murshid, 'iishrafi: d eabd allah bin eabd almuhsin alturki, muasasat alrisalati, ta1.
-albihaqi, 'ahmad bin alhusayn bin ealiin bin musaa alkhusrawjirdy alkhirasani(t 458hi), (1993mi), haqaqah wakharaj 'ahadithah waealaq ealayhi: eabd allah bin muhamad alhashidi, qadim lahu: fadilat alshaykh muqbil bin hadi alwadiei, maktabat alsawadi, jidat - alsaeudiat, ta1.
-althaealbi, 'abu mansur eabd almalik bin muhamad bin 'iismaeil althaealibii (t 429hi), (2002mi), fiqh allughat wasiru alearabiati, tahqiqu: eabd alrazaaq almahdi, dar 'iihya' alturath alearabii, ta1. - - alkhrrat, 'ahmad muhamad, (1989mi), muejam mufradat al'iibdal wal'iielal fi alquran alkarimi, dar alqalami, dimashqu.
-alduwri, muhamad yas khadar(2006ma), daqayiq alfuruq allughawiat fi albayan alqurani- lubnan.
-khadijat eabdalrazaaq alhadithi(1965mi), 'abniat alsarf fi kitab sibwyhi, manshurat maktabat alnahdati, baghdad, ta1.

−alraazi, 'abu eabd allh muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayni(ta606hi), (1999mi), mafatih alghib, dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
−alraghib al'asfahani, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad(t502h), (1991mi), almufradat fi ghurayb alqurani, tahqiqu: safwan eadnan aldaawudii, dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashq bayrut, ta1.
−alraghib al'asfuhanaa, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad (t 502hi), (1999 mi), tafsir alraaghib al'asfahani, kuliyat aladab - jamieat tanta, ta1. - alzbidi, mhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni(t 1205hi), (da.t) taj alearus min jawahir alqamus, dar alhidayati.
−alzajaji, 'abu alqasama, eabd alrahman bin 'iishaq albaghdadi alnahawandii alzajaji(ti337h), (1986mi), ashtiqaq 'asma' allahi, tahqiqu: da. eabd alhusayn almubaraki, muasasat alrisalati. –
−sibuyhi, 'abu bashar eamriw bin euthman bin qanbar alharthi(t180h), (1988m) , alkitab , tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, maktabat alkhanji- alqahirati, ta3.
−abin eashur, muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad altaahir (t 139hi), (1984mi), altahrir waltanwir, aldaar altuwnisiat - tunus.
−eabdallatif alkhatib(2001mi), muejam alqira'ati, dar saed aldiyn. –
−eali alqariy, abn sultan muhamad nur aldiyn almula alharawiu alqariyu (t 1014hi), (2002mi), murqaat almafatih sharh mishkaat almasabih, dar alfikri, bayrut - lubnan.
−alfarabi, 'abu nasr 'iismaeil bin hamaad aljawahiri(ti393h), (1987mi), alsihah taj allughat wasihah alearabiati, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatara, dar aleilm lilmalayini- birut- lubnan, ta4. –
−abin faris, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwini(t 395hi), (1979mi), tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri.
−fadil salih alsaamaraayiy (2007ma), maeani al'abniat fi alearabiati-, dar eamar, ta2. - alfarahidi albasari, 'abu eabd alrahman alkhalil bin 'ahmad bin eamriw bin tamim (t170 ha), (d. ta), aleayn, tahqiqu: mahdi almakhzumi, wa'iibrahim alsaamaraayiy, dar wamaktabat alhilal, da. ta.
−alfiumi, 'abu aleabaas, 'ahmad bin muhamad bin eali (t 770hi, znaan), (2017mi), almisbah almunir fi gharayb alsharh alkabiri, eanaa bih al'ustadh aldukturu: 'ayman eabdalrazaaq alshshwwa, ta1, 2017m.
−alqurtibi, 'abu eabd allh muhamad bin 'ahmad bin 'abi bakr bin farah al'ansarii alkhazriji, (t671h), (1964mi), aljamie li'ahkam alqurani, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, ta2.
−abin qiam aljawziati, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed shams aldiyni(ti751h), (da.t), badayie alfawayidi, dar alkutaab alearabii, bayrut, lubnan.
−almarsi, 'abu alhasan eali bin 'iismaeil bin sidihi(t458h), (1996mi), almukhasasa, tahqiqu: khalil 'iibrahim jafal, dar 'iihya' alturath alearabii- bayrut- lubnan, ta1.
−alharawi, 'abu mansur muhamad bin 'ahmad al'azhari(ti370h), (2001ma) , tahdhib allughati, tahqiqu: muhamad eawad mureibi, dar 'iihya' alturath alearabia, bayrut- lubnan, ta1 .
−hanri filish,(di.t), alearabiat alfushaa, nahw bina' lughwy jadidi- taerib watahqiqu: eabd alsabur shahin, dar almashriqa- bayrut- lubnan, ta2.
−wlim abn alward alburusi, (2008mi), majmueat 'ashear alearabi, wahu mushtamil ealaa diwanayi al'arajiz lileajaji, walzifyan waealaa 'abyat mufradat mansubat 'iilayhima.